التنوع القرائي لدلالة حروف المعاني في القرآن الكريم

أ. ميس سعاد -جامعة ابن خلدون – تيارت

ملخص البحث :

نقصد من العنوان تنوع معاني الحرف الواحد في التركيب اللغوي وبالتالي تعدّد وظائفه وفوائده، وكيف يمكن أن يحل حرف مكان حرف في تركيب الآية القرآنية ويؤدي دلالة هي أبلغ وأحق لخدمة المعنى، كما أنّ هذا التغاير في الحروف سبب مهم من أسباب الاختلاف في التأويل بين المفسرين، مما يسمح بوجود قراءات متنوعة ومختلفة التخريجات .

ولكنها لا تختلف في المعنى المقصود من الآية الكريمة ولكن تعطي وجوها قرائية يظهر من خلالها الإعجاز اللغوي للنص القرآني.

الكلمات المفتاحية: التنوع- تغير- القراءة–الفهم- دلالة–حروف المعاني-النص القرآني

Abstract:

Our aim and intention from the title is the diversification of the meanings of each character in the syntax and its multiple functions and benefits, and how can a symbol of letter replace the letter another in the formation of the Quranic verse and result to a better significance to serve meaning, and this variation in characters is one of the main cause of difference in interpretation between the scholars, allowing to the existence of diverse and different ways of readings .

However, they do not differ in the meaning of the verse, but give new reading faces which shows the linguistic miraculousness of the Qur'anic text.

حروف المعاني هي: «أدوات قليلة تدخل في الأسماء والأفعال، وتُحفظ لقلّتها، وكلّها مبني وحقها البناء على السكون، وما بُني منها حركة، فإنما حُرّك بسكون ما قبله أو لأنّه حرف واحد فلا يمكن أن يبتدئ به إلا متحرّكا، وهي تنقسم إلى أربعة أقسام: ساكن ويقال له: موقوف، ومضموم ومكسور، ومفتوح الأول»[1]، هذه الحروف تعطي دلالات متعدّدة ولها وزنها في التركيب، وتقوم بوظائف جد مهمّة ولكن هل ينوب الحرف منها عن الآخر؟، «اختلف نظر اللّغويين في ذلك فاستمسك معظم نحاة البصرة بأصل الوضع اللغوي الذي قرّره صاحب الإنصاف-الأصل في كل حرف أن لا يدلّ إلا على ما وُضع له- بناءً ا على مذهبهم، أما الكوفيون فذهبوا إلى جوازه محتجين بوروده في كتاب الله وكلام العرب»[2]، فالقرآن الكريم وبإعجازه تظهر فيه هذه

[1] - الأصول في النحو، لابن السراج، تحقيق: عبد الحسين القتلي، مطبعة السليمان الأعظمي، سنة: 1973م، ج206/2.

[2] - التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية، أحمد سعد محمد، مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة الأولى، 1418هـ-1998م ، ص: 182.

الخاصية، وقد تكلّم المفسرون عن ذلك وعن مدى بلاغة هذه المعاني للحروف وفائدتها في المعنى، بشرط أن لا ينوب حرف مكان حرف إلا حسب الأحوال الداعية إليه، وحسب ما ينتج عنه من تنوع دلالي يرتبط أساسا بسياق الآية ومقامها.

حروف المعاني لها أثر كبير في تعدد المعنى فهي :«إذا دل الحرف على معنى في غيره يسمى حرف المعنى ، وهو ما أطلقه النحويون على هذه الحروف ،و لها صلة وطيدة بفهم المعاني واستنباط الأحكام من نصوص القرآن الكريم، بطريق الاجتهاد أو التأويل؛ لأن كثيرًا من القضايا الدلالية والمسائل الفقهية يتوقف فهمها على فهم الدلالة التي يؤديها الحرف في النص، وسميت حروف معان لهذا الغرض، لأنها تصل معاني الأفعال إلى الأسماء أو لدلالتها على معنى، وقد اختلف النحاة وعلماء الأصول وعلماء الكلام في وظائف هذه الحروف كقواعد نحوية ودلالات لغوية على الأحكام الفقهية والعقائدية، وهي تعامل معاملة اللفظ في الجملة من حيث الدلالة فمنها ما يكون مستعملا في الحقيقة ومنها ما يكون مستعملا في المجاز وغيره»[1] .

قال الله تعالى: ﴿**وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ**﴾[2]، يقول الزمخشري : «(**فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ**): كفرًا مضمونًا إلى كفرهم؛ لأنهم كلما جددوا بتجديد الله الوحي كفرًا ونفاقًا، ازداد كفرهم واستحكم، وتضاعف عقابهم »[3].أي :ضمن الزيادة معنى الضم فلذلك عدي بإلى، وقيل :إلى بمعنى مع...، فزادتهم نفاقًا مضمونًا إلى نفاقهم فالزيادة متضمنة معنى الضم ولذا عديت بإلى، وقيل : إلى بمعنى مع، « أما الذين في قلوبهم رجس من النفاق فأضافت إلى رجسهم ونفاقهم رجسًا جديدًا وماتوا وهم كافرون. لعل تضمين (زاد) معنى (ضيّق أو أضاق) والمتعدي بإلى أوّلى من تضمين إلى معنى مع أو تضمين الزيادة معنى الضم ، وأن إضافة رجس جديد إلى رجس قديم وإسناده إليه استحواذ للنفاق والمرض على قلوبهم وتحكمه فيهم لانطفاء نور الفطرة في أفئدتهم»[4].

وهكذا يجمع التضمين[5] إلى معنى الزيادة ضيافة يستضيف بها رجسًا إلى رجسهم ليكون أجفى في الطبع وأذهب في القبح وأفحش في النظر. قال الزمخشري : « يضمنون الفعل معنى فعل آخر فيجرونه مجراه ويستعملونه استعماله، مع إرادة معنى المتضمن...، والغرض في التضمين إعطاء مجموع المعنيين، وذلك أقوى من

---

[1] - أثر حروف المعاني في تعدد المعنى ، د.عرابي أحمد ، مجلة التراث العربي ، مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب، - دمشق- العدد:89، سنة :2003م،ص:01.وينظر (أصول السرخسي ،تحقيق : أبو الوفا الأفغاني، بيروت – لبنان- ج250/1.

[2] -التوبة: 125.

[3] - الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل، للإمام محمود بن عمر الزمخشري، رتبه و ضبطه وصحّحه: مصطفى حسين أحمد ، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان-، الطبعة الثالثة، سنة: 1407هـ-1987م، ج109/3.

[4] - التضمين النحوي في القرآن الكريم ، محمد نديم فاضل ، مكتبة دار الزمان للنشر والتوزيع ، المدينة المنورة ، ط01، سنة : 2005م ،م381/1.

[5] - «يطلق في علم النحو على إشراب فعل معنى فعل ليعامل معاملته ويجري مجراه، أو إيقاع لفظ موقع غيره لتضمنه معناه ».نقلا عن (التضمين النحوي في القرآن الكريم ،محمد نديم فاضل، م89/1).

إعطاء معنى فذّ ألا ترى كيف رجع معنى (وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ) [1] إلى قولك : ولا تقتحمهم عيناك مجاوزتين إلى غيرهم».[2]

و من الحروف نجد حروف العطف ومنها(أو) الذي «ذكر له المتأخرون معاني انتهت إلى إثني عشر: الأول: الشك، نحو قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ [3] »[4]، ويكون للإبهام قال تعالى:﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [5]، ويكون للتخيير قال تعالى:﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [6]، قال بعض العلماء «إنّ الإمام مخيّر بين إيقاع أي نوع من هذه العقوبات على أي نوع من أنواع قُطّاع الطريق. أما جمهور الفقهاء، ومنهم الأحناف فقد خالفوا القاعدة وجعلوا (أو) بمعنى (بل) لوجود صارف لـ(أو) عن حقيقتها وقالوا: توزّع أنواع العقوبات على أنواع الجنايات...» [7].

ومن معاني (أو) الإباحة والإضراب والتقسيم كقوله تعالى:﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [8]، والجمع المطلق كالواو، وبمعنى (إلى) والتقريب، والشرط والتبعيض [9]، وتكون بمعنى (بل)، كما في قوله تعالى:﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ [10]، بمعنى «(بل) يزيدون، وهكذا تكون (أو) قد فصلت (يزيدون) عن (مئة ألف) فاقتصر حكم الإرسال على الزيادة، دون أن

---

[1] - الكهف:28.

[2] - الكشاف، جار الله الزمخشري، ج581/3.

[3] - الكهف: 19.

[4] - مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، تحقيق: الفاخوري، دار الجيل، بيروت-لبنان-، الطبعة الأولى، سنة: 1991م، ج111/1.

[5] -يونس: 24.

[6] - المائدة: 33.

[7] - حروف المعاني و علاقتها بالحكم الشرعي، دياب عبد الجوّاد عطا، دار المنار، القاهرة، الطبعة الثانية، سنة: 1421هـ-2000م ، ص: 71.

[8] - النّساء: 135.

[9] - ينظر: حروف المعاني بين الأصالة والحداثة-دراسة-، حسن عباس، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سنة: 2000م، ص: 20-21.

[10] - الصّافات: 147.

يتوقّف عند (مئة ألف) فكانت (أو) بذلك للإضراب عنها»[1]، وتفيد معنى (حتى)، قال تعالى:﴿**لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ**﴾[2]، بمعنى «ليس لك من الأمر في عذابهم أو استصلاحهم شيء حتى تقع توبتهم»[3].

ومن حروف العطف كذلك (الواو)، فالمعنى الأصلي لـ(الواو) هو: «جمع متعاطفيها، بترتيب أو بلا ترتيب في المكان وبتقارب أو تراخ في الزمن»[4]، واختلاف العلماء في دلالتها على الترتيب أو الجمع كان واضحا حيث «انقسم النحويون فيها قسمين نحاة البصرة ليس تقتضي نسقا ولا ترتيبا وإنما تقتضي الجمع فقط، وقال الكوفيون بل تقتضي النسق والترتيب»[5].

و ذكر **الآمدي** (ت:635هـ)بعض الأدلة التي تثبت دلالة الواو على الترتيب –أي تأخر ما بعدها عما قبلها في الزمان- فقال:«و أما المثبتون للترتيب فقد احتجوا بالنقل كقوله تعالى:﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾[6]،فإنه مقتض للترتيب وهناك من نفى أن تكون الآية فيها دلالة الترتيب، بل فهم الترتيب من أدلة، وهي أنّ النبي -صلى الله عليه وسلم- رتب الركوع قبل السجود، وقال: "صلوا كما رأيتموني أصلي"، ولو كانت الواو للترتيب لما احتاج النبي - صلى الله عليه وسلّم- إلى هذا البيان»[7].

و من الآيات الدالة على أنّ الواو للترتيب قوله تعالى: ﴿**شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾[8]، والمعنى «أن شهادة (الله وملائكته وأولوا العلم) معطوفا على الترتيب، وهو مذهب الشافعي في جواز أن ترتب الواو»[9]، فهي تفيد الترتيب في الآية، قال تعالى: ﴿**وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ**﴾[10]، تفيد الواو في الآية الجمع بين المتعاطفين وليس الترتيب، حيث «جمع بينهما في ذهاب

---

[1] -حروف المعاني بين الأصالة والحداثة، حسن عباس، ص: 21.

[2] -آل عمران: 128.

[3] -حروف المعاني وعلاقتها بالحكم الشرعي، دياب عبد الجواد عطا، ص: 74.

[4] -حروف المعاني بين الأصالة والحداثة، حسن عباس، ص: 18.

[5] - بداية المجتهد ونهاية المقتصد، القرطبي، تصحيح نخبة من العلماء، نشر وتوزيع دار اشريفة، سنة: 1409هـ/1989م، ج16/1.

[6] -الحج: 77.

[7] -الإحكام في أصول الأحكام، سيف الدين علي بن محمد الآمدي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، سنة: 1401هـ/1981م، ج15/1.

[8] - آل عمران: 18.

[9] - حروف المعاني وأثرها في الفقه وأصوله (حروف العطف نموذجا)، مبروك زيد الخير، مجلة الآداب واللغات، جامعة الأغواط-الجزائر-، العدد: 02، سنة: جوان 2004م، ص: 166.

[10] - القيامة: 09.

ضوئها، ويدل سياق الآية الكريمة على أنّ الجمع بين الشمس والقمر وقع في زمن واحد، ولكن دلالة المصاحبة أو المعيّة لم تؤدها (الواو) في حدّ ذاتها، وإنما أدّتها صيغة الفعل (جُمع)»[1].

وقد تخرج دلالة (الواو) عن الترتيب، كقوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُواْ هَـذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً وَادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّداً وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ**﴾[2]، وفي آية أخرى يقول جلّ وعلا: ﴿**وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ**﴾[3]، فنلاحظ أنّ «القصة واحدة آمرا ومأمورا وزمانا بنقل أئمّة التفسير، فلو كانت الواو للترتيب لتناقضا، لدلالة الأول على تقديم الدخول. والثاني على عكسه. وكلام الله تعالى منزه عن التناقض»[4]، فالواو ليس للترتيب مطلقا، كقوله تعالى: ﴿**يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ**﴾[5]، فتقديم الركوع على السجود معمولا به ودليله السنّة المطهرة.

و قد تكون الواو بمعنى (أو) وتؤدي دلالة التخيير كقوله تعالى: ﴿**وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا**﴾[6]، بمعنى «أو ثلاث أو رباع»[7]. وقد تكون بمعنى (أو) وتؤدي دلالة الإباحة، كقوله تعالى: ﴿**وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾[8]، يقول **الزمخشري** في معنى الواو:«قلت: الواو قد تجيء للإباحة في نحو قولك: جالس الحسن وابن سيرين، ألا ترى أنه لو جالسهما جميعا أو واحدا منهما كان ممتثلا ففُذلِكَت[9] نفيًا لتوهم الإباحة. وأيضا ففائدة الفذلكة في كلّ حساب أن يُعلم العدد

---

[1] - أساليب العطف في القرآن الكريم، مصطفى حميدة، مكتبة لبنان "ناشرون"، الطبعة الأولى، سنة: 1999م ، ص: 59.

[2] - البقرة: 58.

[3] - الأعراف: 161.

[4] - حروف المعاني وعلاقتها بالحكم الشرعي، دياب عبد الجواد عطا، ص: 21-22.

[5] - آل عمران: 43.

[6] - النّساء: 03.

[7] - الأزهية في علم الحروف، الهروي أبو الحسين علي بن محمد (ت: 415هـ)، تحقيق: عبد المعين الملوحي، مجمع اللغة العربية، دمشق، مطبعة الترقي، سنة: 1971م، ص: 242.

[8] - البقرة: 196.

[9] - الفَذْلَكَةُ: «(مص): مُجمل أو خلاصة ما فُصّل أوّلاً حسابا كان أو غيره. وهي مخترعة من قول الحساب إذا أُجمل حسابه: فذلك كذا وكذا، إشارة إلى حاصل الحساب ونتيجته». نقلا عن: (المنجد في اللغة والأعلام، مجموعة من الباحثين والعلماء، دار المشرق، توزيع المكتبة الشرقية، بيروت-لبنان-، ط 40، سنة: 2003م، مادة: [فذّ]، ص: 573).

جملة كما عُلم تفصيلا ليُحاط به، ومن جهتين، فيتأكّد العلم»[1]. واعترض عليه **ابن هشام** (ت: 761هـ) بقوله: «و المعروف من كلام النحويين أنه لو قيل: جالس الحسن وابن سيرين، كان أمرا بمجالسة كل منهما وجعلوا ذلك فرقا بين العطف بالواو والعطف"أو"»[2].

قال تعالى:﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ**﴾[3]، فالواو في الآية بدل الفاء، يقول **الزمخشري**: «فإن قلت: أليس هذا موضع الفاء دون الواو، كقولك: أعطيته فشكر، ومنعته فصبر؟ قلت: بلى ولكن عطفه بالواو إشعارا بأنّ ما قالاه بعض ما أحدث فيهما إيتاء العلم وشيء من مواجبه، فأضمر ذلك ثم عطف عليه التحميد، كأنه قال: ولقد آتيناهما علما فعملا به وعلّماه وعرفا حق النعمة فيه»[4].

ومن الحروف حروف الجرّ ومنها (حتى) والأصل في وضع (حتى)«أن يكون للغاية، أي للدلالة على أن ما بعدها غاية لما قبلها سواء كان جزءا نحو أكلت السمكة حتى رأسها، أو غير جزء كما في قوله تعالى: ﴿**سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ**﴾[5]، ولا يسقط عنها هذا المعنى إلا مجازا»[6]، ففي الآية المجرور بها ظاهر فهي بمنزلة (إلى) في المعنى والعمل، ولـ(حتى) الداخلة على المضارع ثلاثة معان: «مرادفة (إلى) نحو: ﴿**قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى**﴾[7]، ومرادفة (كي) التعليلية. كقوله تعالى: ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾[8]، ومرادفة (إلاّ) في الاستثناء، وهذا المعنى ظاهر من قول سيبويه في تفسير قولهم: (والله لا أفعل إلاّ أن تفعل) المعنى حتّى أن تفعل...»[9].

---

[1] - الكشاف، جار الله الزمخشري، ج241/1.

[2] - مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، جمال عبد الله بن يوسف الأنصاري المعروف بـ"ابن هشام الأنصاري"، تحقيق: مازن مبارك ومحمد علي عبد الله، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، سنة: 1969م، ج396/1.

[3] - النّمل: 15.

[4] - الكشاف، جار الله الزمخشري، ج352/3.

[5] - القدر: 05.

[6] - حروف المعاني وعلاقتها بالحكم الشرعي، دياب عبد الجواد عطا، ص: 76.

[7] - طه: 91.

[8] - البقرة: 217.

[9] - الإعراب الميسّر-دراسة في القواعد و المعاني و الإعراب تجمع بين الأصالة و المعاصرة- (وفق قرارت مجمع اللغة العربية)، محمد علي أبو العباس، دار الطلائع للنشر و التوزيع و التصدير، القاهرة، دون طبعة، دون تاريخ، ص: 157.

ونجد كذلك من حروف المعاني ماله تأثير في دلالة المعنى كمثل (الفاء)، التي «تقتضي تشريك ما بعدها لما قبلها في حكمه، والجمهور على أنها تدل على الترتيب بلا مهلة ويعبر عنه بالتعقيب كأن الثاني أخذ بعقب الأول، وقال الفرّاء يجوز أن يكون ما بعدها سابقا...»[1]. فالفاء تفيد الترتيب والتعقيب «باتفاق الأدباء على نقله عن أهل اللغة، ومعنى التعقيب الدلالة على وقوع الثاني عقب الأول بغير مهلة»[2].

قال تعالى: ﴿**فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا، فَأَجَاءهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا**﴾[3]، يقول **الرازي** عن الفاء في الآية : «للتعقيب فدلت هذه الفاآت على أن كل واحد من هذه الأحوال حصل عقيب الآخر من غير فصل...»[4]، قال تعالى:﴿ **فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**﴾[5]، في الآية تقديم القراءة على الاستعاذة والأصل أنّ الاستعاذة مقدمة، يقول **الرازي** في فاء الآية: «الفاء في قوله (فاستعذ بالله) للتّعقيب، فظاهر هذه الآية يدل على أن الاستعاذة بعد قراءة القرآن وإليه ذهب جماعة من الصحابة والتابعين...، والفائدة فيه أنّه إذا قرأ القرآن استحقّ به ثوابا عظيما، فإن لم يأت بالاستعاذة وقعت الوسوسة في قلبه وتلك الوسوسة تُحبط ثواب القراءة. أما إذا استعاذ بعد القراءة اندفعت الوساوس وبقي الثواب مصونا عن الإحباط ...، فقد اتفقوا على أنّ الاستعاذة مقدّمة على القراءة وقالوا معنى الآية: إذا أردت أن تقرأ القرآن فاستعذ، وليس معناه إستعذ بعد القراءة ومثله: إذا أكلت فقل باسم الله...»[6]، فتأويل **الرازي** هو محاولة لإيجاد ما يدفع التّساؤل الذي يُثيره ظاهر النص؛ لأنّه ترتيب غير مطابق للواقع، فالفاء الموجودة في الآية هي «فاء الجواب الرابطة بين الشرط وجزائه وهي غير فاء العطف إلاّ أنّ كليهما يقوم بوظيفة الربط بين الشرط والجواب ووظيفة الترتيب والتعقيب. ويُعدّ هذا دلالة على خروج حروف المعاني عمّا وُضعت له أصلا، وهذا خرق لمعيارية الترتيب بين الشرط وجزائه، واعتمد هذا الخرق على الطريقة الشرعية والعقلية والتي تعني أن تكون الاستعاذة قبل البدء في القراءة...، ويُفهم من هذا أن الأصل في الفاء الواقعة في جواب الشرط أن تُفيد الترتيب في الزمان إلاّ إذا قامت في السّياق قرينة تفيد غير الترتيب، وعليه فإنّني أقول: إنّ

---

[1] - التمهيد في تخريج الفروع على الأصول، جمال الدين عبد الرحيم بن حسن الإسنوي (ت: 772هـ)، تحقيق: القدس للدراسات و البحوث، مراجعة: عبد الله محمد عبد الرحمان الشاغول، نشر: المكتبة الأزهرية للتراث، دون طبعة ، ص: 123.

[2] - أصول الفقه الإسلامي، وهبة الزحيلي، دار الفكر الجزائري، دمشق-سوريا-، د.ط، ج379/1.

[3] - مريم : 22-23.

[4] - التفسير الكبير، فخر الدين الرازي، و بهامشه تفسير العلاّمة أبي السعود-رحمه الله-، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، سنة: 1398هـ-1978م، ج532/5.

[5] - النحل: 98.

[6] - التفسير الكبير، فخر الدين الرازي، ج352/5.

الترتيب في هذه الفاء ظاهرة سياقية، أي أنّ السياق هو الذي يُحدّد دلالتها على هذا المعنى أو ذاك، فدلالتها كدلالة اللفظ المعجمي تماما»[1]، وهذا دليل على العلاقة الموجودة بين الدلالات بهدف خدمة المعنى.

أما علاقتها بالحروف الأخرى فالفاء «تشارك (ثمّ) في إفادة الترتيب وتفارقها في أنها تفيد الاتصال، و"ثم" تفيد الانفصال، هذا ما ذهب إليه البصريين، وما أوهم خلاف ذلك تأوّلوه»[2]. وتكون بمعنى السببية:كما في قوله تعالى: ﴿**وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ**﴾[3]، فالقضاء عليه كان بسبب الوكز، إلا أن الفاء تفيد التعقيب أيضا؛ لأنه «جاء بالضرورة عقب الوكز»[4]، وتفيد كذلك معنى المصاحبة الزمانية، قال تعالى: ﴿**وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾[5]، بمعنى أنّ «الاستماع والإنصات إلى القرآن مصاحبان في الزمان لقراءته»[6].

وتأتي بمعنى "ثم"، قال تعالى: ﴿**ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ**﴾[7]، والفاء في «(فخلقنا العلقة مضغة) و(فخلقنا المضغة عظاما) و(فكسونا العظام لحما)، بمعنى (ثم) التراخي معطوفاتها وكذلك تأتي بمعنى الواو»[8].

و في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ**﴾[9]، الفاء بمعنى (إلى) أي «إلى ما فوقها وهذا قول الكسائي والفراء»[10].

وحرف الجر (من) يؤدي عدة معانٍ، وله حظور قوي في القرآن الكريم، «له وظائفه الدلالية الأصلية وهي الابتداء، الغاية مطلقا مكانا أو زمانا أو غيرهما، كما ترد لتبيّن الجنس وكثيرا ما يقع بعد "ما" و"مهما"، ويرد

---

[1] - الدلالة اللغوية و أثرها في تأويل النص القرآني عند المعتزلة و الأشاعرة، دكتوراه: عرابي أحمد، مخطوط، سنة: 2003م، جامعة وهران-الجزائر-، ص: 39.

[2] - الجنى الداني في حروف المعاني، لأبي حسن القاسم المرادي (ت: 749هـ)، تحقيق: فخر الدين قباوة، محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان-، الطبعة الأولى، سنة: 1992م، ج61/1.

[3] - القصص: 15.

[4] -حروف المعاني بين الأصالة والحداثة، حسن عباس، ص: 19.

[5] - الأعراف: 204.

[6] -أساليب العطف في القرآن الكريم، مصطفى حميدة، ص: 124.

[7] - المؤمنون: 14.

[8] - موسوعة الحروف في اللغة، إميل بديع يعقوب، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثانية، سنة: 1995م، ص: 233.

[9] - البقرة : 26.

[10] - الجامع لأحكام القرآن، للإمام بن أبي بكر بن فرح الأنصاري القرطبي (ت:761هـ)، مكتبة رحاب، الجزائر، الطبعة الرابعة، سنة: 1410هـ-1990م ، ج287/1.

كذلك للتعليل وللتبعيض وللفصل وللبدل وللتنصيص وله كذلك وظائفها الدلالية الفرعية...»[1]، فتفيد التعليل كقوله تعالى: ﴿**أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ**﴾[2]، بمعنى«لأجلها، ومنها: البدل نحو:﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ**﴾[3]، أي بدلها ....، ومنها الباء نحو: ﴿**وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ**﴾[4]، أي به ومنها: مرادفة (عن) نحو: ﴿**وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَاوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ**﴾[5]، أي عنه، ومنها: مرادفة (في) نحو: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾[6]، أي فيه، ومنها: مرادفة (عند) نحو: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُم مِّنَ اللّهِ شَيْئًا وَأُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾[7]، أي عنده ومنها: مرادفة (على) نحو:﴿**وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ**﴾[8] »[9]. وتكون بمعنى (عن) نحو قوله تعالى: ﴿**أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**﴾[10]، يقول **الزمخشري**: «فإن قلت: ما الفرق بين من وعن في هذا؟ قلت: إذا قلت: قسا قلبه من ذكر الله؛ فالمعنى ما ذكرت من أن القسوة من أجل الذكر وبسببه، وإذا قلت: عن ذكر الله، فالمعنى: غلظ عن قبول الذكر وجفا عنه»[11]، بينما نجد **فخر الدين الرازي** لا يوظّف النحو في شرحه للآية مع أنّه وضّحها وبيّن المراد منها وبأسانيد مقنعة من آيات الذكر الحكيم والسنّة المطهّرة، ولكنّه لم يذكر الفرق بين استخدام "من" و"عن" في الآية وفائدة ذلك[12].

---

[1] - العربية والوظائف النحوية دراسة في اتساع النظام والأساليب، ممدوح عبد الرحمن الزمالي، دار المعرفة الجامعية، سنة: 1996م ، ص: 109.

[2] - البقرة: 19.

[3] - التوبة: 38.

[4] -الشّورى: 45.

[5] -الأنبياء: 97.

[6] -الجمعة: 09.

[7] -آل عمران: 116.

[8] -الأنبياء: 77.

[9] - حروف المعاني وعلاقتها بالحكم الشرعي، دياب عبد الجواد عطا، ص: 93.

[10] - الزّمر: 22.

[11] - الكشاف، جار الله الزمخشري، ج122/4.

[12] -ينظر: التفسير الكبير، فخر الدين الرازي، ج241/7.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ﴾[1]، فالحرف (إلى) بمعنى الباء و«إن قيل: لم وُصِلت خلوا بـ(إلى) وعُرْفها أن تُوصل بالباء؟ قيل له : خلوا بمعنى ذهبوا وانصرفوا ....، وقال قوم: إلى بمعنى مع وفيه ضعف. وقال قوم: إلى بمعنى الباء»[2]، إنّ هذا الاختلاف يؤثر في المعنى ودقته خصوصا إذا كان متعلّقا بأمور الفقه والشّرع، فمعرفة وجوهه وإمكانياته أمر هام وضروري في ضبط الدلالة.

قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[3]، فحرف الجر (إلى) «حرف مشترك يكون للغاية والمعية، فهل تدخل المرافق في الغسل أم أنّ حد الغسل يقف قبلها؟ يقول العبكري: قيل (إلى) بمعنى (مع) والصحيح أنها على بابها، وأنها لانتهاء الغاية، وإنما وجب غسل المرافق بالسنّة، وليس بينهما تناقض؛ لأن (إلى) تدل على انتهاء الفعل ولا يتعرض لنفي المحدود إليه، ولا بإثباته... تكون (إلى) متعلقة (بإغسلوا)»[4]، فإن الدليل كان بالسنّة وفي حال غياب الدليل النقلي يحتمل أن يكون هناك شك في الأمور الدقيقة وفي فهمها فهما يقينيا.

ونجد حرف (الباء) الذي يحل مكان عدة حروف ويفيد عدة معان كالتبعيض «و هي التي يحسن موضعها (مِنْ) كقوله تعالى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾[5]، أي منها، والظرفية وهي التي يحسن موضعها (في) نحو: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[6]، والاستعلاء كـ"على" نحو﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[7] »[8].

---

[1] - البقرة: 14.

[2] - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج1/253- 254.

[3] - المائدة: 06.

[4] - ظاهرة الإعراب في النحو العربي و تطبيقها في القرآن الكريم، أحمد سليمان ياقوت، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، الطبعة الأولى، سنة: 1401هـ-1981م ، ص: 182.

[5] - الإنسان: 06.

[6] - آل عمران: 123.

[7] -آل عمران: 75.

[8] - العربية والوظائف النحوية، ممدوح عبد الرحمن الرّمالي، ص: 104.

أما تأويل حروف المعاني بما يخدم المذهب، وكيف يمكن استغلال ذلك حسب المعتقد مثل ما هو عند المعتزلة عند نفيهم للرؤية، وعند تعارض الآيات لمعتقدهم نحو قوله تعالى: ﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ، إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**﴾[1] ، حيث «أوّلو -كلمة (إلى) بمعنى نعم- و(ناظرة)- بمعنى منتظرة. فيكون معنى الآية- وجوه يومئذ ناضرة نعم ربها منتظرة- فالنظر في الآية بمعنى الانتظار وليس نظر الرؤية. يقول أبو علي الجبائي: (إن كلمة "إلى" في هذه الآية ليست حرف جر بل اسم معناه نعم فهو مشتق من الآلاء...)»[2] . يقول **الزمخشري**: «... والنّاضرة: من نظرة النّعيم (إلى ربّها ناظرة) تنظر إلى ربّها خاصة ولا تنظر إلى غيره، وهذا يعني تقديم المفعول. ألا ترى إلى قوله (إلى ربّك يومئذ المستقر)، ... كيف دلّ فيها التقديم على معنى الإختصاص... »[3]، وهذا رأي المعتزلة ولهم أدلتهم السمعية والعقلية في ذلك يشرحها **الرازي** بالتفصيل ويرد على ذلك بعد إظهار رأي أهل السنّة الذين يتمسّكون بهذه الآية في إثبات أنّ المؤمن يرى الله تعالى يوم القيامة، ويذكر **الرازي** أدلة المعتزلة النّقلية والعقلية ووجوه تأويلهم ثمّ يقول رأيه وفيه رد على رأي المعتزلة، أما قوله فيما يتعلّق بحرف (إلى) فيقول: «...أنّ النّظر المقرون بحرف (إلى) المعدّى إلى الوجوه ليس إلاّ بمعنى الرؤية والدليل عليه أنّ وروده بمعنى الرؤية أو بالمعنى الذي يستعقب الرؤية ظاهر فوجب أن لا يُردّ بمعنى الانتظار دفعا للاشتراك...، أنّ المراد إلى ثواب ربّها ناظرة فهذا تركٌ للظاهر وقولهم إنّا صرنا إليه لقيام الدلائل العقلية والنّقلية على أنّ الله لا يرى فقلنا بيّنا في الكتب العقلية ضعف تلك الوجوه فلا حاجة ههنا إلى ذكرها»[4]، كما يُثبت بطريقة فلسفته الكلامية رأيه ويُضعف رأي المعتزلة، وما نجده عند **ابن كثير** هو إثبات تعسّف الرأي الإعتزالي، يقول في الآية: «"وجوه يومئذ ناضرة" من النّضارة، أي: حسنة بهيّة ... (إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) أي نراه عِيانا...، وفي الصحيحين: "أنّ ناسا قالوا: يا رسول الله هل نرى ربّنا يوم القيامة؟ فقال: "هل تُضارّون في رؤية الشمس والقمر ليس دونها سحاب؟" قالوا: لا. قال: "فإنّكم ترون ربّكم كذلك" ...، وهذا بحمد الله مُجمعٌ عليه بين الصحابة والتّابعين وسلف هذه الأمّة...، ومن تأوّل ذلك بأنّ المراد بـ (إلى) مفرد الآلاء، وهي: النِّعم...، تنتظر ثوابا من ربّها...، فقد أبعد هذا القائل النُّجعة، وأبطل فيما ذهب إليه...»[5]، فدلالة الحروف تتغير حسب السياق الذي ترد فيه، فهو يلعب دورا بارزا ومهم في إيضاح المعنى.

و من خلال ما تقدّم نُدرك بأنّ معرفة أسرار اللغة من ضرورات علم التفسير؛ لأنّ تغير دلالة حرف واحد في الآية وتغير معناه قد يؤدي إلى تغيّر معنى الآية ويؤثر ذلك في الحكم المستفاد منها.

---

[1] - القيامة: 22-23.

[2] - المعتزلة و أصولهم الخمسة و موقف أهل السنّة منها، عوّاد بن عبد الله المعتق، مكتبة الرُّشد، الرّياض، الطبعة الثالثة، سنة: 1417هـ-1996م ، ص: 133-134.

[3] - الكشاف، جار الله الزمخشري، ج 662/04.

[4] - التفسير الكبير، فخر الدين الرازي، ج266/08...268.

[5] - تفسير القرآن العظيم، عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت:774هـ)، ضبط: محمد أنس مصطفى الخنّ، قدم له: مصطفى سعيد الخن، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان-، الطبعة الأولى، سنة: 1421هـ-2001م ، ص: 1384.

الهوامش والإحالات:

- الأصول في النحو، لابن السراج، تحقيق: عبد الحسين القتلي، مطبعة السليمان الأعظمي، سنة: 1973م، ج206/2.

- التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية، أحمد سعد محمد، مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة الأولى، 1418هـ-1998م ، ص: 182.

- أثر حروف المعاني في تعدد المعنى ، د.عرابي أحمد ، مجلة التراث العربي ، مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب، - دمشق- العدد :89،سنة :2003م،ص:01.وينظر (أصول السرخسي ،تحقيق : أبو الوفا الأفغاني، بيروت – لبنان- ج250/1.

-التوبة: 125.

- الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل، للإمام محمود بن عمر الزمخشري، رتبه و ضبطه وصحّحه: مصطفى حسين أحمد ، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان-، الطبعة الثالثة، سنة: 1407هـ-1987م، ج109/3.

- التضمين النحوي في القرآن الكريم ، محمد نديم فاضل ، مكتبة دار الزمان للنشر والتوزيع ، المدينة المنورة ، ط01، سنة : 2005م ،م381/1.

- «يطلق في علم النحو على إشراب فعل معنى فعل ليعامل معاملته ويجري مجراه، أو إيقاع لفظ موقع غيره لتضمنه معناه ».نقلا عن (التضمين النحوي في القرآن الكريم ،محمد نديم فاضل، م89/1).

- الكهف:28.

- الكشاف، جار الله الزمخشري، ج581/3.

- الكهف: 19.

- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، تحقيق: الفاخوري، دار الجيل، بيروت-لبنان-، الطبعة الأولى، سنة: 1991م، ج111/1.

-يونس: 24.

- المائدة: 33.

- حروف المعاني و علاقتها بالحكم الشرعي، دياب عبد الجوّاد عطا، دار المنار، القاهرة، الطبعة الثانية، سنة: 1421هـ-2000م ، ص: 71.

- النّساء: 135.

- ينظر: حروف المعاني بين الأصالة والحداثة-دراسة-، حسن عباس، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سنة: 2000م، ص: 20-21.

- الصّافات: 147.

-حروف المعاني بين الأصالة والحداثة، حسن عباس، ص: 21.

-آل عمران: 128.

-حروف المعاني وعلاقتها بالحكم الشرعي، دياب عبد الجواد عطا، ص: 74.

-حروف المعاني بين الأصالة والحداثة، حسن عباس، ص: 18.

- بداية المجتهد ونهاية المقتصد، القرطبي، تصحيح نخبة من العلماء، نشر وتوزيع دار اشريفة، سنة: 1409هـ/1989م، ج16/1.

- الحج: 77.

-الإحكام في أصول الأحكام، سيف الدين علي بن محمد الآمدي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، سنة: 1401هـ/1981م، ج15/1.

- آل عمران: 18.

- حروف المعاني وأثرها في الفقه وأصوله (حروف العطف نموذجا)، مبروك زيد الخير، مجلة الآداب واللغات، جامعة الأغواط-الجزائر-، العدد: 02، سنة: جوان 2004م، ص: 166.

- القيامة: 09.

- أساليب العطف في القرآن الكريم، مصطفى حميدة، مكتبة لبنان "ناشرون"، الطبعة الأولى، سنة: 1999م ، ص: 59.

- البقرة: 58.

- الأعراف: 161.

- حروف المعاني وعلاقتها بالحكم الشرعي، دياب عبد الجواد عطا، ص: 21-22.

- آل عمران: 43.

- النّساء: 03.

- الأزهية في علم الحروف، الهروي أبو الحسين علي بن محمد (ت: 415هـ)، تحقيق: عبد المعين الملوحي، مجمع اللغة العربية، دمشق، مطبعة الترقي، سنة: 1971م، ص: 242.

- البقرة: 196.

- الفَذْلَكَةُ: «(مص): مُجمل أو خلاصة ما فُصّل أوّلاً حسابا كان أو غيره. وهي مخترعة من قول الحساب إذا أُجمل حسابه: فذلك كذا وكذا، إشارة إلى حاصل الحساب ونتيجته». نقلا عن: (المنجد في اللغة والأعلام، مجموعة من الباحثين والعلماء، دار المشرق، توزيع المكتبة الشرقية، بيروت-لبنان-، ط 40، سنة: 2003م، مادة: [فذّ]، ص: 573).

- الكشاف، جار الله الزمخشري، ج241/1.

- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، جمال عبد الله بن يوسف الأنصاري المعروف بـ"ابن هشام الأنصاري"، تحقيق: مازن مبارك ومحمد علي عبد الله، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، سنة: 1969م، ج396/1.

- النّمل: 15.

- الكشاف، جار الله الزمخشري، ج352/3.

- القدر: 05.

- حروف المعاني وعلاقتها بالحكم الشرعي، دياب عبد الجواد عطا، ص: 76.

- طه: 91.

- البقرة: 217.

- الإعراب الميسّر-دراسة في القواعد و المعاني و الإعراب تجمع بين الأصالة و المعاصرة- (وفق قرارت مجمع اللغة العربية)، محمد علي أبو العباس، دار الطلائع للنشر و التوزيع و التصدير، القاهرة، دون طبعة، دون تاريخ، ص: 157.

- التمهيد في تخريج الفروع على الأصول، جمال الدين عبد الرحيم بن حسن الإسنوي (ت: 772هـ)، تحقيق: القدس للدراسات و البحوث، مراجعة: عبد الله محمد عبد الرحمان الشاغول، نشر: المكتبة الأزهرية للتراث، دون طبعة ، ص: 123.

- أصول الفقه الإسلامي، وهبة الزحيلي، دار الفكر الجزائري، دمشق-سوريا-، د.ط، ج379/1.

- مريم : 22-23.

- التفسير الكبير، فخر الدين الرازي، و بهامشه تفسير العلاّمة أبي السعود-رحمه الله-، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، سنة: 1398هـ-1978م، ج532/5.

- النّحل: 98.

- التفسير الكبير، فخر الدين الرازي، ج352/5.

- الدلالة اللغوية و أثرها في تأويل النص القرآني عند المعتزلة و الأشاعرة، دكتوراه: عرابي أحمد، مخطوط، سنة: 2003م، جامعة وهران-الجزائر-، ص: 39.

- الجنى الداني في حروف المعاني، لأبي حسن القاسم المرادي (ت: 749هـ)، تحقيق: فخر الدين قباوة، محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان-، الطبعة الأولى، سنة: 1992م، ج61/1.

- القصص: 15.

-حروف المعاني بين الأصالة والحداثة، حسن عباس، ص: 19.

- الأعراف: 204.

-أساليب العطف في القرآن الكريم، مصطفى حميدة، ص: 124.

- المؤمنون: 14.

- موسوعة الحروف في اللغة، إميل بديع يعقوب، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثانية، سنة: 1995م، ص: 233.

- البقرة : 26.

- الجامع لأحكام القرآن، للإمام بن أبي بكر بن فرح الأنصاري القرطبي (ت:761هـ)، مكتبة رحاب، الجزائر، الطبعة الرابعة، سنة: 1410هـ-1990م ، ج287/1.

- العربية و الوظائف النحوية دراسة في اتساع النّظام و الأساليب، ممدوح عبد الرحمن الرّمالي، دار المعرفة الجامعية، سنة: 1996م ، ص: 109.

- البقرة: 19.

- التّوبة: 38.

-الشّورى: 45.

-الأنبياء: 97.

-الجمعة: 09.

-آل عمران: 116.

-الأنبياء: 77.

- حروف المعاني وعلاقتها بالحكم الشرعي، دياب عبد الجواد عطا، ص: 93.

- الزّمر: 22.

- الكشاف، جار الله الزمخشري، ج122/4.

-ينظر: التفسير الكبير، فخر الدين الرازي، ج241/7.

- البقرة: 14.

- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج253/1- 254.

- المائدة: 06.

- ظاهرة الإعراب في النحو العربي و تطبيقها في القرآن الكريم، أحمد سليمان ياقوت، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، الطبعة الأولى، سنة: 1401هـ-1981م ، ص: 182.

- الإنسان: 06.

- آل عمران: 123.

-آل عمران: 75.

- العربية والوظائف النحوية، ممدوح عبد الرحمن الرّمالي، ص: 104.

- القيامة: 22-23.

- المعتزلة و أصولهم الخمسة و موقف أهل السنّة منها، عوّاد بن عبد الله المعتق، مكتبة الرُّشد، الرّياض، الطبعة الثالثة، سنة: 1417هـ-1996م ، ص: 133-134.

- الكشاف، جار الله الزمخشري، ج 662/04.

- التفسير الكبير، فخر الدين الرازي، ج266/08...268.

- تفسير القرآن العظيم، عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت:774هـ)، ضبط: محمد أنس مصطفى الخنّ، قدم له: مصطفى سعيد الخن، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان-، الطبعة الأولى، سنة: 1421هـ-2001م ، ص: 1384.